القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

المسلمون الأوائل

عبد الحميد جودة السحار

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أصابَ قريشًا قحطٌ شديد ، وكان أبو طالبٍ كثيرَ العِيال ؛ ولم يَنسَ محَمدٌ ما فعلَه له أبو طالب لمّا كان يتيما ، ففكّر فى أن يُعاونَ عمَّه فى شدَّته ، فذهب إلى عمِّه العَبّاس وقال له :

ـ إن أخاكَ أبا طالبٍ كثيرُ العِيال ، والنّاسُ فيما نرى من الشِّدَّة ، فانطلق بنا إليه ، فلْنُخفِّف من عيالِه، تأخذُ واحدا ، وآخذُ واحدا .

فذهبا إلى أبى طالب ، وقالا له :

ـ إنا نريدُ أن نُخفّف عنك من عيالِك ، حتى يَنكشفَ عن النّاسِ ما هم فيه .

كان أبو طالب يُحبُّ ابنَه عَقِيلا ، فقال لهما :

ـ إذا تركتُما لى عَقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخَذَ محمدٌ ابنَ عمِّه عليّا وأخـذَ العبَّاسُ جعفـرًا ؛ وتربَّى علىٌّ فى بيت محمد .

٢

آمنتْ خديجةُ بأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، وصدَّقتْ ما جاء به ؛ فكان إذا صلَّى رسولُ اللّه صلّتْ خديجةُ خلفَه ، وكانا يُصلّيان سِرّا لا يراهمـا أحـد ، ودخـل عليهما علىٌّ وهما يُصلّيان ، فوقف ينظر ، حتـى إذا انتهيا من صلاتِهما ، قال لمحمَّد :

ـ ما هذا ؟

فقال رسولُ اللّه :

ــ دينُ اللّـه الّـذى اصطفـاهُ لنفسِـه ، وبعـثَ بــه رُسُلَه، فأدعُوك إلى اللّــهِ وحـدَه لا شـريكَ لـه ، وإلى عبادتِه ، وإلى الكُفْر باللاتِ والعُزّى .

فقال عليّ :

ــ هـذا أمرٌ لم أسمعْ بـه مـن قبـلِ اليـوم ، أَمْهلنـى أشاورْ أبا طالب .

وكرِهَ رسولُ اللّه ﷺ أن يُفشِيَ عَلِيٌّ سِرَّه ، فقـال له :

ــ يا عليّ ، إذا لم تُسلمْ فاكتمْ هذا الأمر .

ودخل عليٌّ حجرتَه يُفكّر ؛ إنَّ ابنَ عمِّه لم يكـذبْ قطّ ، حتى سمّاه الناسُ « الأمين » ، وهـو يدعـوه إلى أن يكفُـر بهـذه الأصنـام ، وأن يعبـدَ اللّــه ، وكــان بطبعِهِ ينفِر من عبادةِ الأصنام ، التى لا حوْلَ لهــا ولا قوّة . فما إن أصبح الصباحُ حتى كان قد عقد العزمَ

على أن يدخلَ فى الدين الجديد ، فجاء إلى محمَّدٍ وقال :

— يا بنَ عمّى ، إنى سمعتُ وأَجَبْت .

وأَسلمَ علىّ ، ورأى رسولَ اللّه ينظرُ إليه فى حنان ، ويربِّتُ عليه ، فقال :

— يا رسولَ اللّه ، ما كنتُ لأسمعَ لأبى طالب ، أو أشاورَه فى دينى ، فقد خَلَقنى اللّه ، ولم يشاوِرْه فى خَلْقى .

٣

خرج رسولُ اللّه إلى جبالِ مكة ، وخرجَ مَعه علىّ ، ليصلّيا بعيدًا عن الناس ، وفيما هما يُصلّيان ، جاءَ أبو طالبٍ ورآهما ، فقال لرسولِ اللّه :

— يا بنَ أخى ، ما هذا الذى أراكَ تدينُ به ؟

فقال له محمد ﷺ :

ـ هذا دينُ اللّه ، وديـنُ ملائكتِـه ورسُـلِه ، وديـنُ أبينا إبراهيم ، بعثَنى اللّه به رسولاً إلى العباد ، وأنت أحقُّ من بذلتُ لـه النصيحـة ، ودعوتُـه إلى الهـدَى ، وأحقُّ من أجابنى إلى اللّه تعالى ، وأعاننى عليه .

فقال أبو طالب :

ـ إنى لا أستطيعُ أن أُفارقَ دينَ آبـائى ومـا كـانوا عليه .

والتَفتَ إلى علىّ وقال له :

ـ وأَنت ؟

فقال علىّ :

ـ يا أبت ، آمنْـتُ باللّـهِ ورسولِه ، وصدَّقْتُ مـا جاء به ، ودخلتُ معه ، واتَّبعتُه .

فقال له أَبوه :

ـ أما إنَّه لم يدْعُك إلاّ إلى خير ، فالزَمْه .

٤

قَدِمَ أَحدُ التُّجَّار للحَجّ ، وذهب إلى العبّاسِ عم رسولِ اللّه ، ليبتاعَ منه بعضَ السِّلَع ، وكان العبّاسُ صديقًا له ، وجلسَ الرجلُ يتحدثُ مع العبّاس ، وفيما هما يتحدثان ، إذا برجلٍ قامَ يُصلّى ؛ ثم جاءَ غلامٌ وقامَ يُصلّى إلى جَنبِه ؛ ثم جاءتِ امرأةٌ وقامت خلفَهما ، ثم ركعَ الرَّجل ، فركع الغلامُ وركعتِ المرأَة ، ثم سجدَ الرجل ، فسجد الغلامُ وسجدتِ المرأة ، فالتفتَ التاجرُ إلى العبَاس وقال :

ـ ما هذا الدِّين ؟

فقال العباس :

ـ هذا دينُ محمدِ بنِ عبدِ اللّه أخى ، يزعُمُ أنَّ اللّهَ بعَثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىُّ بنُ أَبى طالب ، وهذه امرأَتُه خَدِيجة .

٥

سَرَى هَمْسٌ فى مكة ، بأنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللّه ، يزعُمُ أَنَّه نبىّ ، ويدعو سرًّا إلى عبادةِ إلهٍ واحد ، وجاءت جاريةٌ لحكيم بن حِزَام ، وهو قريبٌ لخديجة، وكان عندَه أَبو بكر ، فقالت :

ـ إن عمَّتك خديجة تزعُمُ أنَّ زوجَها نبىٌّ مُرسَل ، مثلُ موسى .

سمِع أبو بكر هذا القول ، ففكّر فيه ، إنه يعرفُ محمَّدا ، ويَعْرف أنه أمينٌ صادق ، فذهب إليه ،

وقال له :

ـ يا أبا القاسم ، ما الَّذى بلغنى عنك ؟

فقال له محمد :

ـ وما بلغكَ عنّى يا أبا بكر ؟

قال له أبو بكر :

ـ بلغنى أنّك تدعو لتوحيد اللّه ، وزعمتَ أنّك رسولُ اللّه .

فقال له محمد : « نعم يا أبا بكر ، إنَّ ربى عزَّ وجلّ ، جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوةَ إبراهيم ، وأَرسلنى إلى النّاس جميعا » .

فقال له أَبو بكر :

ـ واللّه ما جرَّبتُ عليكَ كَذِبا ، وإنك لخليقٌ (تستحق) بالرِّسالة ، لِعظَمِ أمانتِك ، وصلتِك

لِرحِمك ، وحُسنِ فِعالك . مُدَّ يدَك ، فأنا أبايعُك .

فمدَّ رسولُ اللّه يدَه ، وصافحه أبو بكر ، وهو يُعلنُ إسلامَه .

وبلغ خديجةَ إسلامُ أبى بكر ، فسرَّها ذلك ، حتى إنها خرجتْ إليه وقالت :

ـ الحمدُ للّه الذى هداكَ يا أَبا بكر .

٦

كان سعدُ بن أبى وقّاص عمَّ آمنةَ بنتِ وهب ، أمِّ محمد ؛ دخل سعدٌ فى فِراشه ذاتَ ليلةٍ ونام ، فرأَى فى نومه أَنه يسير فى الظَّلام ، لا يرى شيئا ، وإذا بالقمرِ يظهرُ فى السَّماء ، فيُبدِّد الظَّلام ؛ ونظر إلى القمر ، فرأَى أَبا بكرٍ وعليَّ بنَ أبى طالب وزيدَ بنَ

حارثـة ، مولَـى الرَّسـول ، يُطِلّـونَ مـن القمـر ، ويُشيرون إليه ليلحَق بهم ، فقال لهم :

– متى انتهيتُمْ إلى هنا ؟

فقالوا له :

– السّاعة .

وقام سعدٌ من نومِه ، واعتدلَ فى فِراشِه ، وحاول أن يُفسِّر حُلْمَه ، فلم يستَطع . وفى الصّبـاح جاء أبو بكرٍ إلى سعد ، وقال له :

– نزل على محمَّدٍ وحيٌ مـنَ السَّماء ، أَخْبَرَه أنـه نبيٌّ هـذه الأمَّة ، وأَمره أَن يدعُوَ إلى عبـادةِ اللّـه وحدَه . فقال له سعد :

– أَكَفَرَ باللاَّتِ والعُزَّى ؟

فقال له أَبو بكر :

ـ إنه يدعو إلى التحرُّرِ المطلَقِ من عبادةِ هذه الأصنام ، إنه لا يبغى من وراءِ ذلك جاها ولا مالا ، فإن له من أموالِ خَديجةَ ما يُغنيه عن ذلك ، وله من نسبه في قريش ، مكانَ الذّروةِ والسِّنام ، على أن دعوتَه هى التحرُّرُ المطلقُ من عُبوديةِ هذه الأحجار الصماء ، إلى عبادةِ خالقِ السَّماء الصافية والصحْراء المُترامية ، والنجوم الّلامعة ، والشَّمسِ السّاطعةَ ، والماء والرِّياض ، والهواء والغِياض (ماء يجتمع فينبُت فيه الشَّجر) . وإنَّ هذه الدعوةَ التى لا تُفرِّق بين السادةِ والعبيد أمامَ اللّه إلا بقدر العقيدةِ والعمل ، والّتى تُخْلى الطريقَ بين العبدِ وربِّه ، يدخلُ إليه بغير واسِطة ، ويتقرَّبُ إليه بغيرِ زُلفَى ، وتدعو إلى التراحُمِ والتَّوادِّ والبرِّ والتّقوَى ، وتنفِر من الوأْد (دفنِ البناتِ حيّات) والقطيعةِ

والتّراشق – هيَ هناءةُ الدنيا ، وسعادةُ الأبد .

تفتّح قلبُ سعدٍ لقولِ أبى بكر ، فقال له :

– ومنِ اتّبعه على دينه هذا ؟

فقال أبو بكر :

– أنا ، وعليٌّ بن أبى طالب ، وزيدُ بن حارِثة .

وتذكّر سعدٌ الْحُلم الّذى رآه : تذكّرَ عليًّا وأبا بكرٍ وزيدَ بن حارثة ، فى القمرِ يدعونَه أَن يَلْحَقَ بهم ، فتيقّنَ أنّ اللّه أرادَ له الهِداية ، فقال لأبى بكر :

– وأينَ رسولُ اللّه ؟

فقال له أبو بكر : « فى شِعْبِ أَجياد (مكانٍ فى خارج مكّة) يعبد اللّه مُستخفِيا » .

فذهبا إليه ، ليشهد سعدٌ أنْ لا إلـه إلاّ اللّـه ، وأَنّ محمدا رسولُ اللّه .

٧

كان أبو بكرٍ عظيمًا فـي قريـش ، علـى سَعةٍ مـن المال ؛ وكان كريـمَ الأخـلاق ، يُحبُّـه قومُـه ، فـراح يدعو أصحابَه إلى هذا الدينِ الجديد ، فكـانوا يُلَبُّـون دعوتَه .

وفي سكون الليل خرج يتلفّت ، حتـى إذا وصـلَ إلى بيتِ أُميّةَ بنِ خَلَف ، وكـان من سـادةِ قريـش ، هتَف :

ـ بلال ... بلال .

فهبط إليه بلال ، وهـو عبـدٌ أَسـود ، كـان مولَـى أُميّة ، وقال :

ـ من ؟ أبو بكر ؟! ما جاء بكَ السّاعة ؟

فقال له أبو بكر :

ـ نبأٌ هامّ .

فقال بِلاَل :

ـ وما هذا النبأ ؟

ـ ظَهَرَ نبيٌّ هذهِ الأمة .

ـ ومن هو ؟

ـ محمدُ بنُ عبدِ اللّه .

وظلَّ أبو بكرٍ يُحدِّث بِلالا ، حتى آمنَ وشهدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه .

وراح صحابةُ محمدٍ يجتمعون به في الْجِبال ، يسمعونَ القرآن ، ويتعلّمون دينَهم الجديد ، بعيدًا عن أعينِ أهلِ مكة ، فما أمرَ اللّه بعدُ رسولَه أن يجهَرَ بِدَعوتِه ، (أى يُعْلِنَها) .